

المطلب العاشر

أثر الوقف على العطايا والمنح

إن الدعوة إلى الله تعالى تتلمس حاجات النفوس فتعمل على تليتها بالطرق المشروعة طمعاً في هدايتها، ولذا فإن وسيلة العطايا والمنح من الوسائل الدعوية التي تريح النفوس وتؤلف القلوب.

وإن أحرص ما يحرص عليه الداعية إلى الله تعالى هو تأليف القلوب؛ لأن ذلك يعتبر المدخل الأساس للنفوس لحملها على قبول الحق والإذعان له.

ومعلوم أن النفوس تحب من يحسن إليها فتنتفتح له وتبسط، مما يتيح الفرصة أمام الداعية لتأصيل العقيدة والمبادئ الإسلامية في نفوس المدعويين.

"ومن سبل الإكرام التي يتألف به الداعية قلوب المدعويين السخاء والبذل والعطاء فيما يتمكن من بذله وعطائه من مال أوجه أو ضيافة، أو ما أشبه ذلك من وجه البر، وصنوف البذل والجود.

إن السبيل والجود يقع في نفوس الناس بموقع، بل إنه كالغيث الذي تحصب به الأرض فتكون صالحة لإخراج النبات والزرع والشجر.

ولقد أثنى الله تعالى على المنفقين أهل البذل والعطاء والجود والكرم فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَرْبَ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (٢).

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٢.

(٢) سورة التوبة الآية ١١١.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم! أنفق ينفق عليك وقال: يعين الله ملأى) (وقال ابن عمير: ملاءة) سحاء لا يغيضها شيء الليل والنهار^(١).

"وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف القلوب بالبذل والعطاء، وقد كان لهذا العطاء والبذل أبلغ الأثر في نفوس القوم، حتى كان سبباً في انشراح صدورهم للإسلام وإقبالهم عليه، وكانوا هم بعد ذلك سبباً في دخول أقوامهم الإسلام أفواجاً"^(٢).

وقد شرع الله تعالى سهماً من الزكاة للمؤلفة قلوبهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي المسلمين الجدد نصيباً أوفر من المال تأليفاً لقلوبهم.

قال صلى الله عليه وسلم: (إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار)^(٣).

إن الدعوة الإسلامية -اليوم- بحاجة إلى التعامل من خلال هذه الوسيلة الدعوية العملية الذي تنجح في اقتحام النفوس، وتكون نافذة يطل من خلالها الداعية إلى نفوس الآخرة، ولقد تفنن خصوم الدعوة في استغلال مثل هذه الوسيلة الدعوية -العطايا والمنح وبذل المال- لأجل جذب الناس إلى النصرانية وحملهم على اعتناقها وترك عقيدتهم.

وقد ساعد على ذلك الدعم الضخم والمتواصل للمؤسسات التنصير من دول الغرب وأوروبا وإن الأرصدة الضخمة من مليارات الدولارات تعمل على تشجيع المنصرين على توظيف المساعدات والمنح للسيطرة على الفئات القليلة من المسلمين الفقراء.

"فهذا سورس اليهودي الأمريكي (Suos) الذي فتح بأمواله (٣٣) فرعاً لأعماله الخيرية، وخص منها (٢٨) في بلاد المسلمين ومن أبرز أعماله برنامج المنح الدراسية لآلاف الطلاب وخص منها بلاد البلقان المسلمة والتي دفع لها بمفرده (٣٥٠) مليون دولار ثم تجاوز

(١) صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف رقم الحديث ٣٦-٩٩٣.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى - محمد بن حامد آل عثمان الغامدي - ص ٣٨٧-٣٩٠-١ ط - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - دار الطرفين - الطائف.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب - لم يكن الإسلام على الحقيقة - الحديث رقم ٢٧.

عمله إلى الجمهوريات الإسلامية" (١) .

ولذا فإن تشجيع الناس في الوقف على وسيلة البذل والعطاء والمنح، يعد باباً عظيماً من أبواب الخير والنفع التي ينبغي أن يجتهد المسلمون فيها، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ ﴾ (٢) .

إن استخدام وسيلة البذل والعطاء يؤدي إلى تأليف القلوب وكسب الأنصار للدعوة إلى الله تعالى، وإن هذا الأمر لا يتحقق إلا من خلال تأمين تلك النفقات وتوفيرها.

ولعل من أبرز مصادر التمويل في ذلك هو تخصيص الأوقاف واستثمارها لتوفير موارد الإنفاق والإحسان إلى الناس لترغيبهم في الدخول في الإسلام، وإن هذه الوسيلة لها أصالتها الشرعية كما تقدم ذكر ذلك، وما أحوج الدعوة في هذا العصر إلى مثل هذا الوسيلة المؤثر، نظراً لكثرة المحن ولانتشار الفقر وزيادة التضخم في كثير من المجتمعات علاوة على توظيف أعداء الإسلام لهذه الوسيلة في تحقيق أهدافهم.

فلو تم استثمار هذا الوسيلة وتطويرها لكان لها عظيم الأثر في توسيع دائرة الدعوة إلى الله تعالى، ولكن قبل ذلك لا بد من تضافر جهود المسلمين، لا سيما المحسنين منهم على تخصيص جزء من أموالهم للوقف على مثل هذه الوسائل النافعة والمفيدة في الدعوة إلى الله تعالى.



(١) انظر: القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، د. محمد بن عبد الله السلومي، ص ٥٧٦.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.